المعاملة الحسنة في الدعوة إلى الله
في ضوء نصوص القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ

إعداد

الدكتورة/ الجوهرة بنت صالح بن حمود الطريفي

الأستاذ المشارك بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

إن الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبـــده ورســـوله ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ [١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾ [٢] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [٣].

أما بعد:

فإن الإسلام رحمة إلهية إلى كل البشر، أرسل الله رسوله ﷺ بـــه لإســـعاد البـــشرية، وإنقاذها من الضلالة [٤] إلى الهدى قال تعـــالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ

---

(١) سورة النساء آية: ١.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) خطة الحاجة التي كان يعملها رسول الله ﷺ أصحابه أخرجها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح حديث رقم (٢١١٩) ج ٢، ص ٥٩١ طبع دار سحنون – الثانية – ١٤١٣هـ واللفـظ لـه؛ وأخرجهـا الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح حديث رقـم (١١٠٥) ج ٣، ص ٤١٣. طبـع دار سحنون – الثانية – ١٤١٣هـ؛ وأخرجها ابن ماجه في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح حـديث رقـم (١٨٩٢) ج ١، ص ٦٠٩، طبع دار سحنون – الثانية ١٤١٣هـ والحديث صححه الألباني (انظر: صـحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني كتاب النكاح، باب في خطـة النكـاح حـديث رقـم (١٨٦٠) – (٢١١٨) ج٢، ص ٣٩٩).

مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [١] وقال تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [٢] ثم أنه سبحانه وتعالى أرشده للأسلوب الذي يبلغ به الرسالة فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [٣] وأوصاه بالرفق بالناس، ورحمتهم لن ذلك لما يجعلهم يلتفون حوله ويقبلون قوله قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [٤].

كما ألزم أتباعه المؤمنين بأن يقوموا بنشر هذا الدين ودعوة الناس إليه قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [٥].

وجعل لهم منهجاً يسرون عليه قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٦] وطريقة النبي ﷺ في الدعوة مستمدة من القرآن حيث كان مخلقاً ﷺ بأخلاق القرآن وأدلة وممتثلاً أوامره ومتجنباً نواهيه كما قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه ﷺ قالت: (فإن خلق

---

(١) سورة الشورى آية: ٥٢.

(٢) سورة إبراهيم آية: ١.

(٣) سورة النحل جزء من آية: ١٢٥.

(٤) سورة آل عمران جزء من آية: ١٥٩.

(٥) سورة آل عمران آية: ١٠٤.

(٦) سورة يوسف آية: ١٠٨.

نبي الله ﷺ كان القرآن) [١].

ومن تتبع نصوص القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ يجد أنها اعتنت بمعاملة الناس معاملة حسنة وما كان هذا الدين يؤثر في النفوس ويخالط شغاف القلوب لوما كانت الدعوة مقرونة بالمعاملة الحسنة، إذ أن ذلك من أبرز العوامل المؤثرة في تقبل الناس لهذا الدين العظيم وديانتهم به.

ولأهمية الموضوع وتأثيره على تقبل الناس للدعوة اخترت هذا الموضوع الذي قسمته إلى ثلاثة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: المعاملة الحسنة في ضوء نصوص القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المعاملة الحسنة في ضوء سنة النبي ﷺ.

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تعامل النبي ﷺ مع المسلمين.

المطلب الثاني: تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين.

المبحث الثالث: أثر المعاملة الحسنة في الدعوة إلى الله.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأسال الله بمنه وكرمه وإحسانه أن يبارك في الجهد ويتقبل العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه حديث رقم (١٣٩) – (٧٤٦) ج ١، ص ٥١٣. طبع دار السحنون الثانية – ١٤١٣هـ.

المبحث الأول

المعاملة الحسنة

في ضوء نصوص القرآن الكريم

لقد جاء الإسلام رسالة الله الخالدة للناس كافة كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [١].

فالله تعالى أرسله إلى جميع الخلق من المكلفين [٢] فعن جابر بن عبدالله [٣] قال: (أن النبي ﷺ قال: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) [٤].

وجاء هذا الدين رحمة بالخلق، فأرسل رسول الهدى والرحمة بالرحمة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [٥].

قال ابن كثير [٦] في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي أرسله رحمة لهم كلهم) [٧].

---

(١) سورة سبأ جزء من آية: ٢٨.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، ج ٣، ص ٥١٧، طبع مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة.

(٣) جابر بن عبدالله بن عمرو صاحب رسول الله ﷺ الأنصاري من أهل مدينة الرضوان روي علماً كثيراً، توفي سنة ثمان وسبعين (انظر: الإصابة في تميز الصحابة لابن محرم العسقلاني، ج١، ص ٢١٣، طبع مؤسسة إحياء التراث العربي – بيروت – ط الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب قول الله (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً....) ج ١، ص ٨٦، طبع دار سحنون تونس – الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٦) الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة سبعمائة، له تصانيف عديدة صحب شيخ الإسلام بن تيمية، توفي سنة سبعمائة وأربع وسبعين هجرية (انظر: شذرات الذهب لابن العماد، ج ٢، ص ٢٣٠ طبع المكتب التجاري بيروت، بدون تاريخ.

(٧) تفسير القرآن العظيم. لابن كثير، ج ٣، ص ١٩٦.

لقد كانت رسالة محمد ﷺ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها وما كان هذا الدين وهذه الرحمة لتؤثر في القلوب وتغير واقع البشرية في العصور الأولى تغير ملحوظاً جاء على أرجاء كبيرة من أرجاء المعمورة التي أراد الله لها الخير والفلاح لو ما كانت أساليب القرآن الكريم التي دعا إليها وطبقها رسول الهدى ﷺ في دعوته، وسلكها الصحابة من بعده ومن تربى على نهج القرآن والسنة من بعدهم. في دعوة الناس بالمعاملة الحسنة بالإحسان إليهم، والرفق بهم وفق الضوابط التي حددها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ. إذا أن الدعوة بالمعاملة الحسنة هي الأصل في التعامل مع الخلق كلهم ولا يلجأ إلى غيرها إلا وفق ضوابط محددة بعد استنفاد الأساليب الأقل والأسهل.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [(١)]: (وأعلم أن الدعوة إلى الله بطريقين: طريق لين، وطريق قسوة؛ أما طريق اللين فهو الدعوة على الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه، فإن نجحت هذه الطريق فبها ونمت، وهو المطلوب، وإن لم تنجح تعنيت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده...) [(٢)].

---

(١) هو محمد الأمين بن محمد المختار الحنبلي الشنقيطي ولد عام ١٣٢٥هـ بشنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية الآن. نشأ بيت علم، حيث كان مدرسته الأولى، ثم واصل تلقيه العلم عن علماء عصره، سافر إلى الحج واستقر في المدينة المنورة مدرساً في المسجد النبوي وفي الجامعة الإسلامية بعد افتتاحها، واختير عضواً في هيئة كبار العلماء عام ١٣٩٣هـ.

(انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام، ج٦، ص ٣٧١ – طبع دار العاصمة – الثانية ١٤١٩هـ).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ج ٢، ص ١٧٤، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

والقرآن الكريم وضح كيفية دعوة الناس، وزخرت الأدلة التي تحث على دعوة الناس بالمعاملة الحسنة وباللين والملاطفة فإن ذلك أجدر في نجاح الدعوة وقبول المدعوين لها.

وهذه بعض الأدلة من كتاب الله عز وجل:

١- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١).

قال بن كثير في تفسير هذه الآية: (أي لو كنت سيء الكلام قاس القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك والآن جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم) (٢).

وقال في ظلال القرآن: (فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته ﷺ رحيماً بهم، ليناً معهم، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يطعهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همهم ولا يعذبهم بهمة ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة، الود والرضاء.. وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ.

وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط. ولا ضاق صدره

---

(١) سورة آل عمران جزء من آية: ١٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١، ص ٣٩٧.

بصنفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أغراض هذه الدنيا... [١].

فالمعاملة الحسنة هي التي تجعل الناس تلتف حول الداعية، وتقبل منه، وتتأثر به، فهذا سيد الخلق – ﷺ – وهو الرسول المبعوث من رب العاملين، والمؤيد بالوحي، قال له ربه موجهاً (لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) أي لو كنت كذلك لكانت النتيجة انفضاض الناس وابتعادهم عنه.

٢- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [٢].

في هذه الآية وصف لحال النبي ﷺ مع أمته حيث يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وهو حريص بوصول الخير إليها من نفع دنيوي أو أخروي فشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى [٣] فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الدين يسر...) [٤].

٣- ويقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [٥].

---

(١) في ظلال القرن لسيد قطب. ج ١، ص ٥٠٠ – ٥٠١، طبع دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٢) سورة التوبة آية: ١٢٨.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم. لابن كثير، ج ٢، ص ٣٨٥؛ وانظر فتح القدير لمحمد علي الشوكاني. ج ٢، ص ٤١٨، طبع دار الفكر ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الدين يسر، ج ١، ص ١٥.

(٥) سورة النحل جزء من آية: ١٢٥.

قال الطبري [١]: (ادع) يا محمد من أرسلك الله ربك بالدعاء إلى طاعته (إلى سبيل ربك) يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام (بالحكمة) يقول بوصي الله الذي يوصيه إليك وكتابه الذي نزله عليك (والموعظة الحسنة) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تتزيله.. (وجادلهم بالتي هي أحسن) يقول وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تغضبه في القيام بالواجب عليك من تبلغيهم رسالة ربك) [٢].

قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة الحسنة أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى وقوله: (جادلهم بالتي هي أحسن) أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب) [٣].

كما قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية (وينبغي أن دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب، واللطافة مع إيضاح الحق؛ لقوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة....) الآية فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق، فإنها تضر أكثر مما تنفع) [٤].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التصانيف، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين له الكتاب المشهور في أخبار الأمم وتاريخهم، وله كتاب جامع البيان عن تأويل آيات القرآن في التفسير، توفي سنة عشر وثلاث مائة.
(انظر: سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد والذهبي، ج ١٤، ص ٢٦٧، طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

(٢) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الشنقيطي، ج ٢، ص ١٧٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم. لابن كثير، ج ٢، ص ٥٧٢.

(٤) أضواء البيان. للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ج ٢، ص ١٧٤.

ففي يمثل هذه الآية وأمثالها يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم ﷺ وللدعاة من بعده.

فالدعوة تكون بداية بالحكمة لأن الناس أصناف ثلاثة إما أن يعترف بالحق ويتبعه فهذا صاحب الحكمة، وإما أن يعترف به، لكن لا يعمل به، فهذا تستخدم معه الموعظة الحسنة، وإما أن لا يعترف به فهذا يجادل بالتي هي أحسن لأن الجدال مظنة الإعقاب فإن كانت بالتي هي أحسن حصلت منه المنفعة [١].

ومما يؤكد على أن القرآن يدعو الدعاة إلى المعاملة الحسنة مع الناس أنه في المجادلة نص على أن تكون بالتي هي أحسن والجدال لا يكون إلا مع المخالف.

قال في ظلال القرآن موضحاً طريقة الجدال: (وبالجدال بالتي هي أحسن. بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدال، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها وهو لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تخذلك على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر)[٢].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٢ ص ٤٥ جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر؛ وانظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للإمام ابن قيم الجوزية ج ١، ٢ ١٨٤ – تحقيق سيد إبراهيم علي حسن – طبع دار الوليد. جدة – الأولى ١٤١٤هـ.

(٢) في ظلال القرآن. لسيد قطب، ج ٤، ص ٢٢٠٢.

٤- وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [١] هذه أخلاق أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يتخلق بها وفيها تأديب للخلق قال ابن كثير (وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وبالإعراض عن الجاهلين، وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم إلا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب)[٢].

٥- وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [٣].

قال ابن كثير: (قال تعالى مرشداً إلى الترياق النافع في مخالفة الناس وهو الإحسان إلى من يسيء إليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة فقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) [٤].

٦- يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢، ص ٢٦٦.

(٣) سورة المؤمنون آية ٩٦ ــ ٩٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣، ص ٢٤٦.

يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [١].

في تفسير هذه الآية قال ابن كثير: (يقول عز وجل (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) أي دعا عباد الله إليه (وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هدمن من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك... (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) أي فرق عظيم بين هذه وهذه (ادفع بالتي هي أحسن) أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه... (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وهو الصديق أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم، أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك. ثم قال عز وجل (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة) [٢].

ويتضح من هذه الآيات وصية الله للناس بمعاملة الناس بالحسنى بل مقابلة الإساءة بالإحسان فإن نتائج ذلك عظيمة فإن عامل الإنسان من أساء إليه بالحسنى تنقلب العداوة إلى صداقة والبغض إلى مودة حتى يصير كأنه ولي حميم في شفقته وحنوه وإحسانه لكن التحلي بهذه السمة واستخدام هذا الأسلوب لا يطيقه أي أحد بل يحتاج إلى صبر ومشقة فإنه صعب على النفوس ولن يعمل بذلك فإنه ذو حظ عظيم في الدنيا والآخرة بسبب التحلي بهذه الخلة العظيمة.

---

(١) سورة فصلت آية: ٣٣ ــ ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم. لابن كثير، ج ٤، ص ١٠٢ ــ ١٠٣.

٧- يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١).

في هذه الآيات يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأخذه ميثاقهم على ذلك وأنهم تولوا عن ذلك وأعرضوا وقد أمرهم بعبادة الله عز وجل وهو على الحقوق وأعظمها ثم بعدة حق المخلوقين وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين ثم تدرج بباقي حقوق المخلوقين من الأقربين واليتامى والمساكين (٢) ثم يأتي الأمر الإلهي بقول (وقول للناس حسناً) قال بابن كثير في تفسيرها: (أي كلموهم طيباً ولينوا لهم جانباً ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف كما قال الحسن البصري (٣) في قوله تعالى (قولوا للناس حسناً) فالحسن من القول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحكم ويعفوا ويصفح ويقول للناس حسناً كما قال الله وهو كل خلق حسن رضيه الله) (٤).

وقد كان الأمر بالإحسان إلى الناس بالقول بعدما أمر بالإحسان إليهم بالفعل فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي (٥) وقد أمر الله تبارك وتعالى هذه الأمة بنظر ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ

---

(١)

(٢) سورة البقرة جزء من آية: ٨٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ١١٤.

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ١١٤.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ١١٥.

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [١].

٨- وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [٢].

في هذه الآية توجيه من الله تبارك وتعالى للنبي ﷺ بأن يأمر عبادة المؤمنين بأن يقولوا الكلام الأحسن في محاورتهم ومخاطبتهم لأنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وتحول الكلام إلى مضال فيقع الشر والمخاصمة. فقد قال ابن كثير: (يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ورفع الشر والمخاصمة) [٣].

٩ــ ويقول الله تبارك وتعالى آمراً موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٤].

فالله سبحانه وتعالى يأمرهما بالذهاب إلى فرعون الذي وصفه الله بأنه طغى والطاغية من جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم [٥].

فهو الذي يقول: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [٦].

---

(١) سورة النساء آية: ٣٦.

(٢) سورة الإسراء آية: ٥٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٥.

(٤) سورة طه الآيتان: ٤٣ ــ ٤٤.

(٥) انظر: القاموس المحيط لمجد الدين محمد الفيروز آبادي ص ١٦٨٥ طبع مؤسسة الرسالة ــ الثانية ١٤٠٧هـ.

(٦) سورة القصص آية: ٣٨.

وهو الذي يقول: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ (١).

ويقول بكل كبر: ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (٢).

ويأمرهما بأن يكلماه بكلام لين لا خشونة فيه.

قال ابن كثير: (في هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين) (٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن التفري (٤) في تفسير هذه الآية: (لعله بسبب القول الين يتذكر ما ينقصه فيأتيه أو يخشى ما يضره فيتركه فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ، منفر عن صاحبه) (٥).

واقل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن الدعوة

---

(١) سورة غافر الآيتان: ٣٦ ــ ٣٧.

(٢) سورة الزخرف آية: ٥١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٤٩.

(٤) عبدالرحمن بن ناصر عبدالله آل سعدي من قبيلة بني تميم ولد سنة ١٣٠٧هـ، توفي ١٣٧٦هـ (انظر: فتاوى المرأة المسلمة لمجموعة من العلماء، مجمع أشرف بن عبدالمقصود ج ١ ص ١٢ طبع مكتبة أضواء السلف ــ الثالثة ١٤١٧هـ.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج ٥ ص ٦٠ طبع مكتبة الهدى الإسلامية ــ مكتبة الخلفاء ــ الأولى ١٤٠٨.

إلى الله يجب أن تكون بالرفق واللين؛ لا بالقسوة والشدة والعنف) [١].

وقد استدل بذلك الخليفة المأمون [٢] لما عنفه واعظ، فقال: (يا رجل أرفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٣]) [٤].

(١) أضواء البيان ج ٤ ص ٤١٣.

(٢) الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ولد سنة سبعين ومائة، قرأ العلم والأدب والأخبار والقصليات وعلوم الأوائل من أمر بتصريب كتهم ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ. توفي سنة ثمان عشرة ومائتين: (انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٢٧٢).

(٣) سورة طه آية: ٤٤.

(٤) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي ج ٢ ص ٣٤٣ طبع مؤسسة التاريخ العربي.

المبحث الثاني

المعاملة الحسنة في الدعوة إلى الله

في ضوء سنة النبي ﷺ

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تعامل النبي ﷺ مع المسلمين.

المطلب الثاني: تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين.

المطلب الأول

تعامل النبي ﷺ مع المسلمين

لقد امتدح الله سبحانه وتعالى نبيه في كتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [١].

فسرت هذه الآية بتفاسير عديدة منها إنه ﷺ على الخلق الذي أمره الله به في القرآن، وقيل هو رفقة بأمته وإكرامه إياهم، وقيل إنك على طبع كريم [٢].

وقال ابن كثير: (ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي، منهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق الكريم من الحياء والكرم، والشجاعة والصفح، والحلم، وكل خلق جميل) [٣].

فقد كان ﷺ متخلقاً بأخلاق القرآن، فما من فضيله حث عليها القرآن إلا وكان ﷺ أول العاملين بها ودعا أهله، وأقاربه إلى العمل بها، وما من رذيلة نهى عنها القرآن إلا وكان ﷺ أبعد الناس عن العمل بها ونهى أهله وأقاربه عنها، وقد بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [٤] ذلك لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فذكرت بأن خلقه القرآن، فعن سعد بن هشام بن عامر [٥] رضي الله عنه قال: قلت: (يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى.

---

(١) سورة القلم آية: ٤.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٢٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٠٣.

(٤) عائشة بنت الإمام الصديق أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة، زوج النبي ﷺ توفيت سنة سبع وخمسين (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٣٥).

(٥) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري. قال ابن سعد في الطبقات كان سعد بن هشام ثقة إن شاء الله. (انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٥٢ طبع دار صادر بيروت).

قالت: فإن خُلُقَ نبي الله ﷺ كان القرآن) [١].

قال الإمام النووي [٢] عند شرحه لهذا الأثر: (معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله، وقصصه وتدبره وحسن تلاوته)[٣].

وقد كان ﷺ يتعامل مع أصحابه في ضوء ما أمر به القرآن الكريم من التعامل بالرحمة وعدم الفظاظة كما مر في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [٤] فكان ليناً سهل المعاملة، يراعي أصحابه، ويشاورهم ويتلطف بهم، فكان أحسن الناس معاملة [٥].

لذا أثمر ذلك حب أصحابه له، والتفافهم حوله، ودفاعهم عنه، حتى تعجب الكفار لذلك، من ذلك ما أخرجه البخاري في قصة صلح الحديبية فقد أرسلت قريشاً عروة بن مسعود لمحاورة النبي ﷺ وقد جاء فيها: (فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت إن أستأصلت أمر قومك هل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوها وإني لأرى أشواباً [٦] من الناس

(١) تقدم تخريجه ص ٣.

(٢) يحيى بن شرف النووي، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، توفي سنة ست وسبعين وستمائة (انظر: شذرات الذهب لابن العماد ج ٥ ص ٣٥٤).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ج ٣، ص ٢٨٣.

(٤) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٥) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ج ١، ص ١٦٥ طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٤هـ.

(٦) (أشواباً) أخلاطاً من أنواع شتى (انظر: فتح الباري لابن حجر ج ٥ ص ٤٠٠) طبع دار الريان للتراث ـ الثانية ١٤٠٩هـ.

خليقاً أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه أمْصَص بتبظر اللات [١] أنحن نفرُّ عنهُ وندعُهُ فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يُكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة [٢] قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المِغفرُ فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يدهُ بنعل السيف [٣] وقال له أخر يدك عَنْ لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأحد أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلدهُ وإذا أمرهم بادروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قطُّ يعظمُهُ أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً...) [٤].

ففي هذه القصة دلالة عظيمة على التفاف الصحابة حول النبي ﷺ والدفاع

---

(١) (أمصص ببظر اللات): قال ابن المنير: في قول أبي بكر تخسيس للعدو وتكذيبهم وتعريض بإلزامهم من قولهم إن اللات بنت الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بأنها لو كانت بنتاً لكان لها ما يكون للإناث (انظر: المرجع السابق ج ٥ ص ٤٠٠).

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر، شهد بيعة الرضوان، ذهبت عينه يوم اليرموك، وقيل يوم القادسية (انظر، سير أعلام النبلاء ج٣، ص ٢١).

(٣) (نَعْل السيف): ما يكون في أسفل جَفْنِه من حديده أو فعنَّة (انظر: لسان العرب مادة (نصل) ج ٦ ص ٢١٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط ج ٣ ص ١٧٩.

عنه وامتثال أوامره، وما كان ذلك ليكون لو كان فظاً غليظ القلب بل كان بتعامله الحسن مع أصحابه ﷺ.

وقد حفلت كتب السنة والسير من الأدلة القولية والفعلية التي تدل على تعامله الحسن مع أصحابه ودعوته ﷺ بأقواله وأفعاله إلى التحلي بذلك، وكذلك شهادة أصحابه له بذلك فعن عبدالله بن عمرو [١] رضي الله عنهما قال: (**لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً** [٢] **وكان يقول: (إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً)**[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً. فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، ما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) [٤].

وكان من حسن تعامله مع الناس لا يواجههم بشيء يكرهونه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (**صنع النبي شيئاً فرخَّص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله ثم قال: ما بالُ أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني**

---

(١) عبدالله بن عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أسلم قبل أبيه، كان من الكتاب. يكتب الكثير بإذن النبي ﷺ توفي سنة ثلاث وسبعين (انظر سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٧٩).

(٢) (فاحشاً ولا متفحشاً): أي ناطقاً بالفحش؛ والمتفحش المتكلف لذلك. أي لم يكن له الفحش خلقاً ولا مكتسباً (انظر: فتح الباري ج ٦ ص ٦٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ج ٤ ص ١٦٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ج ٤ ص ١٦٦.

لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) [١].

قال ابن حجر [٢]: (وأما المعاتبة فقد حصلت منه لهم بلا ريب، وإنما لم يميز الذي صدر منه ذلك ستراً عليه، فحصل منه الرفق من هذه الحيثية لا بترك العقاب أصلاً.. وفي الحديث الاقتداء بالنبي ﷺ، وذم التعمق والتنزه عن المباح، وحسن العشرة عند الموعظة، والإنكار والتلطف في ذلك) [٣].

وقد أخبر أنس بن مالك [٤] رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ عن حسن تعامله ﷺ معه فعن أنس بن مالك قال: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين. والله! وما قال لي: أفاً قط ولا قال لي لشيء: لَمَ فعلت كذا. وهلا فعلت كذا؟) [٥].

ومن حسن تعامله ﷺ: أنه ما سئل عن شيء قط فقال لا فقد أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله قال: (ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قط فقال: لا) [٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ج ٧ ص ٩٦ واللفظ له، ومسلم في كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته حديث رقم (١٢٧) ــ (٢٣٥٦) ج ٢، ص ١٨٢٩.

(٢) أحمد بن علي بن محمد، الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، انتهى إليه علم معرفة الرجال وعلل الأحاديث توفي سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة (انظر: شذرات الذهب لابن العماد ج ٧ ص ٢٧٠).

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٥٣٠.

(٤) أنس بن مالك بن النضر الإمام المحدث خادم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بعشر سنين، توفي سنة ثلاث وتسعين (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٩٥).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً حديث رقم (٥١) ــ (٢٣٠٩) ج ٢ ص ١٨٠٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء ج ٧، ص ٨٢.

وكان ﷺ يوجه أمته بصفة عامة إلى حسن المعاملة والتحلي بحسن الخلق، فعن أبي ذر [١] رضي الله عنه قال: (قال لي رسول الله ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) [٢].

وعن أبي ذر قال: قال لي النبي ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ) [٣].

وكانت وصاياه للدعاة بصفة خاصة بمعاملة الناس المعاملة الحسنة ومن ذلك بعثه ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل دعاة إلى اليمن فكانت وصاياه لهم بالتسيير على الناس والتبشير فقد أخرج البخاري عن أبي بردة [٤] قال: بعث

(١) جندب بن جنادة القفاري أحد السابقين الأولين، عاد بعد إسلامه إلى بلاد قومه غفار ففاته بدر وأحد، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر، توفي سنة اثنتين وثلاثين هجرية (انظر: الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر ج ٤ ص ٦٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ١٥٨ ضبع دار سحنون ــ الثانية ١٤١٣هـ. والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس حديث رقم (١٩٨٧) ج ٤ ص ٣٥٥ طبع دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ والدارمي في كتاب الرقاق باب في حسن الخلق حديث رقم (٢٨٩٤) ج ٢ ص ٦٢٩ طبع دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ وقال الألباني حديث حسن. (انظر: صحيح سنن الترمذي حديث رقم (١٦١٨) ــ (٢٠٧٠) ج ٢ ص ١٩١ طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ــ الرياض ــ الأولى ــ ١٤٠٨هـ.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء حديث رقم (١٤٤) ــ (٢٦٢٦) ج ٣ ص ٢٠٢٦.

(٤) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري حارث ويقال عامر ابن صاحب رسول الله ﷺ مات سنة أربع ومائة (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٣).

رسول الله ﷺ أبا موسى [١] ومعاذ بن جبل [٢] إلى اليمن قال: وبعث كُلَّ واحد منهما على مخلاف [٣] قال واليمن مخلافان ثم قال "**يسرا ولا تعسرا وبشر ولا تنفر**")[٤].

وأخرج الإمام مالك أن معاذ بن جبل قال: (**آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز [٥] أن قال: "أحسن خُلُقك [٦] للناس يا معاذ بن جبل"**) [٧].

وسوف أذكر بعض النماذج من سيرته ﷺ والتي تدل على حسن تعامله مع

---

(١) أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس بن سُليم، الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ توفي سنة اثنتين وأربعين (انظر: الإصابة في تميز الصحابة ج ٢ ص ٣٥٩).

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي المدني البدري، شهد العقبة كان من الفقهاء. توفي سنة سبع أو ثمان عشرة (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٢٦).

(٣) (مخلاف) المخلاف الإقليم (انظر: فتح الباري ج ٧ ص ٦٥٨؛ لسان العرب ج ٢ ص ٣٠٣؛ النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٦٩) تحقيق طاهر الزاوي ــ محمود الطناجي طبع دار الفكر).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ج ٥ ص ١٠٧؛ ومسلم في كتاب الأتربة، باب بيان أن كل مسكر خمر حديث رقم (٧١) ــ (١٧٣٣) ج ٢ ص ١٥٨٧ واللفظ للبخاري.

(٥) (الغرز): ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: هو الكُور مطلقاً، مثل الزكاب للسَّرْج (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٣ ص ٣٥٩).

(٦) (أحسن خلقك): (بأن يقهر منه لمجالسة أو الوارد عليه البشر والحلم والإشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير) (انظر: هامش موطأ الإمام مالك حققه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي (محمد فؤاد عبدالباقي ج ٢ ص ٩٠٢).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن المعاملة حديث رقم (١) ج ٢ ص ٩٠٢ وقال محقق الكتاب: (هذا آخر الأحاديث الأربعة التي قالوا: أنها لم توجد موصولة في غير الموطأ، وذلك لا يضر مالكاً الذي قال فيه سفيان بن عينية: كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا ما كان صحيحاً، وإذا قال: بلغني فهو إسناد صحيح) انظر: هامش الموطأ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ج ٢ ص ٩٠٢.

الناس، والتي أثرت فيمن تعامل معهم ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ: (**أن أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه. فقال رسول الله ﷺ لا تزرموه** [١] **ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه**) [٢].

وفي رواية أخرى للحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: (بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه [٣] . قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا تزرموه دعوه" فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر. إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**")[٤].

وفي رواية أخرى للحديث بين النبي ﷺ: أنهم بعثوا ميسرين و لم يبعثوا معسرين فعن أبي هريرة [٥] ﷺ قال: (قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم ﷺ "دَعُوهُ وهريقُوا على بوله سَجْلاً [٦] من ماء أو ذَنُوباً [٧] من ماء.

---

(١) (لا تزرموه): أي لا تقطعوا عليه بوله (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٣٠١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ج ٧ ص ٨٠؛ وأخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد حديث رقم (٩٨) ــ (٢٨٤) ج ١ ص ٢٣٦.

(٣) (مه مه): زجر ونهي معناه الضُفْ (انظر: لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ١٠٧).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد. حديث رقم (١٠٠) ــ (٢٨٥) ج ١ ص ٢٣٨.

(٥) عبدالرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله ﷺ، سيد الحفاظ الأثبات أسلم بعد فتح خيبر توفي سنة سبع وخمسين (انظر: سير أعلام النبلاء، ج ٢ ص ٥٧٨).

(٦) (سجلاً): السَّجل الدلو الملأي ماء (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٣٤٤).

(٧) (ذَنُوباً): الذنوب الدَّلو العظيمة (انظر: المرجع السابق ج ٢ ص ١٧١).

فإنما بعثتم مُيَسَّرين و لم تبعثوا مُعَسّرين") [١].

لقد تعامل النبي ﷺ تعاملاً حسناً مع هذا الأعرابي، حيث أمر أصحابه رضوان الله عليهم بأن يدعو هذا الأعرابي حتى يكمل بوله، وهم الذين حاول زجره ونهيه لَّما رأوه يبول في المسجد، وفي هذا حكم عديدة أنه عند زجره للكف عن التبول في المسجد قد يرتاع ويتضرر، أيضاً النجاسة قد وقعت فاحتمال الزيادة أولى من إيقاع الضرر به، وهناك مصلحة في عدم زجره لأنه عند زجره قد تتنجس ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة في المسجد مع أن النجاسة قد وقعت في جزء يسير فقط من المسجد [٢].

ثم أن النبي ﷺ لم يترك هذا الأعرابي بدون تعليم وإنما علمه برفق ولين فكان أدعى لاستجابته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (... فقال الأعرابيُّ، بعد أن فقه[٣] فقام إليَّ بأبي وأمي فلم يؤنب و لَمْ يَسُبَّ فقال: "إن هذا المسجد لا يُبَالُ فيه. وإنّما بُني لذكر الله وللصلاة" ثم أمَرَ بِسَجْل من ماءٍ، فأفرغ على بوله) [٤].

وعن معاوية بن الحكم السلمي [٥] رضي الله عنه قال: (بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ. إذ عطس رجُلٌ من القوم. فقلتُ: يَرْحَمُك اللهُ! فرماني القوم بأبصارهم فقلتُ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد ج ١ ص ٦١.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ج ٢ ص ١٩٤.

(٣) (فَقِه): أي فهم وعلم (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٣٤٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل. حديث رقم (٥٢٩) ج ١ ص ١٧٦ طبع دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ. وقال الألباني عن الحديث "حسن صحيح" (انظر: صحيح سنن ابن ماجه ج ١ ص ٨٧) طبع المكتب العربي لدول الخليج الأولى ١٤٠٨هـ.

(٥) معاوية بن الحكم السلمي كان ينزل المدينة ويسكن في بني سليم له عن النبي ﷺ حديث واحد حسن في الكهانة والطيرة والحظ وتشميت العاطس في الصلاة جاهلاً (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٤٣٢).

وأثكُل أميَّاه [١] ما شأنكم؟ تنظرون إليَّ. فجعلوا يضْرِبُون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ. فبأبي هو وأمِّي ما رأيت مُعَلِّماً قبله ولا بعدهُ أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني [٢] ولا ضربني ولا شتمني. قال: "إن هذه الصلاة لا يصُلحُ فيها شيءٌ من كلام الناس. إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن") [٣].

وفي هذا الحديث بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الأخلاق العظيمة ورفقة ولطفه في تعامله وتعليمه، فهذا المتحدث في صلاته يقول: (بأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه. فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني) بل عمله تعليم الشفيق الناصح بأن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس بدون تأنيب أو انتهار. وقبله الأعرابي الذي بال في المسجد قال الكلمات ذاتها: (فقام إلى بأبي وأمي فلم يؤنب و لم يّسُبَّ فقال: "إنَّ هذا المسجد لا يبال فيه....).

قال الإمام النووي: (وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعلميه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه) [٤].

وعن أبي أمامه [٥] رضي الله عنه قال: **(إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله**

---

(١) (واثكل أمياه): الثكل: فقد الولد. كأنه دعا على نفسه بالموت لسوء فعله، أو قوله، ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٢١٧).

(٢) (ما كهرني): أي ما انتهرني (انظر: المرجع السابق ج ٤ ص ٢١٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة حديث رقم (٣٣) — (٥٣٧) ج ١ ص ٣٨١.

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ج ٣ ص ٢٧.

(٥) أبو أمامة الباهلي اسمه صدى بن عجلان بن الحارث مشهور بكنيته صاحب رسول الله ﷺ ونزيل حمص، روى علماً كثيراً توفي سنة ست وثمانين وقيل إحدى وثمانين (انظر: الإصابة في تمييز الصاحبة ج ٢ ص ١٨٢).

ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال: ادنه. فدنا منه قريباً فقال: فجلس. قال أتحبه لأمك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال ولا الناس يحبونه لبناتهم.

قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يديه عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه فلم يكن بعض ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) [(١)].

نجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ تعامل تعاملاً حسناً مع هذا الشاب تجلى بداية في طلبه من الشاب القرب منه بقوله: (ادنه) حيث أن لذلك أثر نفسياً يشعر الشاب بقربة من رسول الله ﷺ، وحنوه عليه، ثم بدأ بمحاورته ومناقشته بأن كان يحب ذلك لمحارمه من الناس، فكان الشاب يجيب بلا والله جعلني الله فداءك، وهذا القول من الشاب يدل على تأثره بحوار النبي ﷺ معه فقد كان ﷺ حسن الاستماع والتجاوب مع المتلقي [(٢)].

ثم بعد ذلك وضع ﷺ يده على الشاب دعا له فوضع يده له أثر نفسي ومعنوي يشعر الشاب بشفقة النبي ﷺ وقربه منه ثم الدعاء له فكانت النتيجة تأثر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧؛ وقال الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا: (سنده عند الإمام أحمد جيد) (انظر: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني. ترتيب وتأليف أحمد عبدالرحمن البنا المطبوع بهامش الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني ج١٦ ص ٧١ طبع دار الشهاب ــ القاهرة ــ بدون تاريخ الطبع).

(٢) انظر علم النفس الدعوي (دراسات نفسية تربوية للآباء والدعاء والمربين د/ عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص٣٠٥ طبع دار المسلم ــ الأولى ــ ١٤١٥هـ.

ذلك الشاب مثلما ذكر الراوي (فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء).

يظهر من ذلك أثر المعاملة الحسنة في دعوة الشاب حيث لو كان ﷺ فظاً غليظ القلب لا نفض ذلك الشاب عنه وما تقبل منه.

المطلب الثاني

تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين

مثلماً كان رسول الله ﷺ يتعامل مع أصحابه برفق ولين، كذلك كان مع المشركين، بل كان يتألفهم حتى يسلموا، وكان ﷺ يعفو ويصفح عمن أساء إليه رغبة فيما عند الله، ورجاء دخول الناس في دين الله عز وجل، وقد كان يرحمهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله! ادع على المشركين. قال: (إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة) [(١)].

وقد قال عنه ربه تباك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[(٢)] قال بان كثير: (يخبر تعالى أنَّ الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي أرسله لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة) [(٣)].

وقد ضرب ﷺ لنفسه مثلاً في شفقته ﷺ على الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **"مثلي كمثل رجل استوقد ناراً. فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقصن فيها، وجعل يحجزهَّن ويغلبنه فيتقحَّمْن [(٤)] فيها. قال فذلكم مثلي ومثلكم. أنا آخذٌ بحجزكم عن النار هَلُمَّ عن النار، هَلُمَّ عن النار فتضلبوني تقحَّمون فيها"** [(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم (٨٧) ــ (٢٥٩٩) ج ٣ ص ٢٠٠٦.

(٢) سورة الأنبياء آية: ١٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٩٦.

(٤) (يتقحَّمن): أي يقعن فيها يقال: افتحم الإنسان الأمر العظيم، وتقحمه إذا رمى نفسه فيه من غير رويه وتثبت (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ١٨).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم حديث رقم (١٨) ــ (٢٢٨٤) ج ٢ ص ١٧٨٩.

وفي البخاري: "وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [(١)] " [(٢)].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنه زوج النبي ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ: "هل أتى عليك يومٌ أشدّ من يوم أحُد قال: لقدْ لقيتُ من قومك ما لقيتُ وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال [(٣)] فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب [(٤)] فرفعتُ رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [(٥)] فقال النبي ﷺ: "**بل**

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه كتاب الأدب، باب كنية المشرك ج ٧ ص ١٢٠.

(٣) (ابن عبد ياليل بن عبد كلال): من أكابر أهل الطائف من ثقيف (انظر: فتح الباري ج ٦ ص٣٦٣).

(٤) (فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب): أي لم أفطن لنفسي وأتنبه لحالي وللوضع الذي أنا ذاهب إليه وفيه، إلا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه، قال القافي: قرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ج ٦ ص ٣٩٧)؛ (وانظر: معجم البلدان لياقون الحمدي ج ٤، ص ٣٣٢ طبع دار صادر بيروت ــ الطبعة الثانية ١٩٩٥م).

(٥) (الأخشبان): هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله (انظر: فتح الباري ج ٦ ص ٣٦٤؛ شرح النووي ج ٦ ص ٣٩٧).

أرجوا أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً") [١].

فعلى الرغم من الضيق الذي مر به النبي ﷺ فشدد عليه كفار مكة وآذوه وأصحابه رضوان الله عليهم، ثم ذهب إلى الطائف لعل الله يجعل له وللمسلمين فرجاً ومخرجاً فكانوا كأهل مكة وأغروا به صبيانهم وسفهائهم [٢]، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، ثم يأتي الفرج من رب السماء والأرض بإبادة هؤلاء الذين آذوه أن أراد فكان رده ﷺ يتجلى ما طبع عليه ﷺ من رحمة وعفو وحلم بأنه يرجو ربه أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. فلم ينتقم لنفسه وإنما كان همه الدعوة ونشر هذا الدين وتحقق ما كان يرجو. خرج من أصلابهم من يعبد الله وحده، بل أسلم بعض قادة الكفر الذين كانوا من ألد أعدائه فأصبحوا أولياء حميمين بنبون عنه كأبي سفيان بن حرب [٣]، وسهيل بن عمرو [٤]،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذ قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى ج ٤ ص ٨٣؛ وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين حديث رقم (١١١) ــ ١٧٩٥) ج ٢ ص ١٤٢٠.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٦١ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ.

(٣) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً وقتال أهل الطائف وقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك وكان فيها يحرض المسلمين على الجهاد. توفي سنة إحدى وثلاثين (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٧٨؛ سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٠٥).

(٤) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري خطيب قريش وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية عن المشركين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي ﷺ: (دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم علينا خطيباً. فقال دعها فلعلها أن تسرك يوماً. فما مات النبي ﷺ قام سهيل خطيباً فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت). أسلم يوم الفتح ثم حسن إسلامه. خرج على الشام مجاهداً. قال المدائني وغيره واستشهد يوم اليرموك. وقال الشافعي والواقدي مات في طاعون عمواس (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٩٣؛ سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٩٤).

وعكرمة بن أبي جهل [١] وغيرهم.

وقد حفلت كتب السنة والسير بالكثير من الشواهد التي تبين تعامل الرسول ﷺ الحسن مع الكفار مما جعلهم يتأثرون بتلك المعاملة، فتتبدل عداوتهم صداقة وبغضهم مودة من ذلك قصته ﷺ مع ثمامة بن أثال فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال [٢] فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة. فقال: عندي خيرٌ يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تفهم تنحم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد ثم قال: له ما عند يا ثمامة. فقال: ما قلتُ لك إن تنحم تنحم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد. فقال: ما عند يا ثمامة. قال: عندي ما قلت لك.

فقال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ. والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح بَلَدُكَ أحبَّ البلاد إليَّ. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله

---

(١) عكرمة بن أبي جهل عمر بن هشام القرشي المخزومي كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله ﷺ ثم أسلم عام الفتح وخرج إلى قتال أهل الردة، ثم كان من قادة المجاهدين في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قيل إنه بايع على الموت في معركة اليرموك ثم استشهد وقيل استشهد في أجنادين رضي الله عنه (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص٤٩٦؛ سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٢٤).

(٢) ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة الحنفي، أبو أمامة اليمامي، ثبت على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء الحضرمي، فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين، فلما ظفروا اشترى ثمامة حلة كانت لكبيرهم فرأها عليه ناس من بني قيس بن ثعلبة فظنوا أنه هو الذي قتله وسلبه فقتلوه (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٢٠٣).

ﷺ وأمره أن يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت. قال لا. ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حَبَّه حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ " [١].

قال ابن حجر: (وفي قصة ثمامة من الفوائد.. المن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بعضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل.. وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب...، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه...) [٢].

فكانت المعاملة الحسنة مع ثمامة سبب في إسلامه، وثبت على الإسلام لما أرتد المرتدون، بل قاتلهم رضي الله عنه.

وتلك ثمار كبيرة، إذ اكتسبت الدعوة مسلماً جديداً، بل مجاهداً في سبيل الله يذود عن حياض هذا الدين، والمكسب الكبير إنقاذ إنسان من الشرك وإدخاله في حظيرة الإيمان وهذا من أهم المكاسب التي يدعو إليها الإسلام ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (فوالله لأن يهدي بك رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حُمُر النعم)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال ج ٥ ص ١١٧ والفظ له؛ وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنَّ عليه حديث رقم (٥٩) ـــ (١٧٦٤) ج ٢ ص ١٣٨٦.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٦٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام ج ٤ ص ٥، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (٣٤) ـــ (٢٤٠٦) ج ٢ ص ١٨٧٢ واللفظ للبخاري.

وعن أنس رضي الله عنه (أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين [١] فأعطاه إياه. فأتى قومه فقال: أيْ قوم أسلموا. فوالله! إنَّ محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس: إنَّ الرجل ليسلمُ ما يريد إلا الدنيا. فما يُسلم حتى يكون الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها) [٢].

وعن ابن شهاب [٣] قال: (غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة. ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان [٤] بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة.

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب [٥]؛ أنَّ صفوان قال: والله! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لا بغض الناس إليّ. فما برح يعطيني حتى إنَّهُ لأحبُّ الناس إليَّ) [٦].

---

(١) (غنماً بين جبلين): أي كثيرة كأنها تملأ بين جبلين. (انظر: هامش محمد فؤاد عبدالباقي على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٠٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قد فقال: لا. وكثرة عطائه حديث رقم (٥٨) ــ (٢٣١٢) ج ٢ ص ١٨٠٦.

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري ولد سنة خمسين وتوفي سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٢٦).

(٤) صفوان بن أمية بن خلف بن حذافة القرشي الجمحي المكي أسلم بعد فتح مكة، وروى أحاديث وحسن إسلامه، وشهد اليرموك أميراً على كردوس، توفي سنة إحدى وأربعين (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٦٢).

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، ولد سنتين مضتا من خلافة عمر، مات في سنة أربع وتسعين (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢١٧).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه حديث رقم (٥٩) ــ (٢٣١٣) ج ٢ ص ١٨٠٦.

وقد ظهر من خلال هذه الأحاديث كيف أثرت المعاملة الحسنة بالإحسان الفعلي لهؤلاء المشركين حتى أصبح رسول الله ﷺ من أحب الناس إليهم بل في حديث أنس قال الرجل لقومه: (أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر).

المبحث الثالث

أثر المعاملة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى

استعرضت في المبحثين السابقين دعوة القرآن الكريم إلى المعاملة الحسنة باستعراض بعض النصوص القرآنية التي تدعو إلى ذلك، وكذلك بعض النصوص من سنة النبي ﷺ وسيرته، والتي تدعو، وتبين استخدام النبي ﷺ للمعاملة الحسنة مع الناس كافة مسلمهم، وكافرهم.

والله سبحانه وتعالى بيَّن في كتابه الكريم أنه أرسل محمد ﷺ للإقتداء به فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

قال ابن كثير: (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله)[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[3].

قال ابن كثير: (يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والأنس، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته، ومسلكه، وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين، وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، على

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ج٣ ص٤٥٧.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)[١].

وقال الشوكاني في تفسير هذه الآية: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي على حجة واضحة... ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ والمعنى ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو. وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ز حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله) (٢).

ومن خلال ما تم استعراضه من نصوص القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ ظهرت بعض الآثار المترتبة على المعاملة الحسنة ومن ذلك:

أولاً: قرب المدعوين من الداعية وتأثرهم به:

من الآثار المترتبة على المعاملة الحسنة قرب المدعوين من الداعية وتأثرهم بما يقول كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾[٣].

وكما نص على طريقة الدعوة بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ ﴾[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ج٢ ص٤٧٧.

(٢) فتح القدير، للشوكاني ج٣ ص٥٩.

(٣) سورة آل عمران، جزء من آية: ١٥٩.

(٤) سورة النحل، جزء من آية: ١٢٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [١] في بيان أقسام الناس حسب احتياجهم للأسلوب المناسب: (الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبعه فهذا صاحب الحكمة؛ وإما أن يعترف به ولكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتى يعمل، وإما أن يعترف به فهذا يجادل بالتي هي أحسن لأن الجدال مظنة الإغضاب، فإذا كان بالتي هو أحسن، حصلت منفعته بغاية الإمكان)[٢].

وحصول المنفعة يكون بقرب المدعوين وتأثرهم بالداعية.

وفي سنة النبي ﷺ وسيرته تأكيد لذلك فإن سنته ﷺ تطبيق لما جاء في القرآن الكريم كما قالت عائشة رضي الله عنها: (فإن خلق نبي ﷺ كان القرآن)[٣].

فهو ﷺ مطبق لما جاء في القرآن الكريم من الأوامر ومجتنباً ما فيه من النواهي، متحلياً بالآداب التي دعا إليها القرآن الكريم وقد كان ﷺ يوصي الدعاة الذين يبعثهم إلى التحلي بمكارم الأخلاق والتيسير على الناس وتبشيرهم وعدم تنفيرهم كما في وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل وأبوموسى الأشعري رضي الله عنهما عندما بعثهما إلى اليمن دعاة بقوله ﷺ: "**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**"[٤].

وكما جاء في الحديث الذي رواه معاذ بن جبل أن آخر وصايا النبي ﷺ له بأن يحسن خلقه للناس حيث قال: "آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعتُ

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية تقي الدين ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨ (انظر: البدر الطالع للإمام محمد بن علي الشوكاني ج١ ص٦٣، طبع مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج٢ ص٤٥؛ وانظر مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، ج١، ص١٨٤.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣.

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٥.

رجلي في الغرز أن قال "**أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل**")[١].

وقد ظهر من خلال النصوص التي استعرضتها تأثر المدعوين بمعاملته ﷺ معاملة حسنة كما في قصة الأعرابي والذي جاء في إحدى روايات الحديث بيان تأثره بمعاملة النبي ﷺ له معاملة حسنة حيث جاء فيه: (فقال الأعرابي بعد أن فقه فقام إليَّ بأبي وأمي فلم يؤنب و لم يَسُبَّ فقال: "**إنَّ هذا المسجد لا يُبال فيه، وإنما بُني لذكر الله وللصلاة**")[٢].

وكما في قصة معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه حيث جاء في الحديث تأثره بتعليم النبي ﷺ له بأسلوب حسن فقد قال: (فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمِّي! ما رأيتُ مُعَلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني. قال: "**إنَّ هذه الصَّلاة لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام الناس. إنما هو التسبيحُ والتكبير وقراءة القرآن**")[٣].

وأيضاً في تعامل النبي ﷺ مع الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ بالزنا، حيث حاوره حواراً دل على تأثر الشاب بذلك الحوار أنه كان يجيب النبي ﷺ بعد كل سؤال: لا والله جعلني الله فداءك، ثم ذكر الراوي أن الشاب لم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء[٤].

---

(١)تقدم تخريجه ص ٢٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٨.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٨.

(٤) ينظر ص ٢٩.

وعلى أن الأصل في دعوة الناس معاملتهم معاملة حسنة نص على ذلك العلماء قديماً وحديثاً من ذلك ما قاله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز [(١)]: (إن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت باللين في محله، والغلظة والشدة في محالهما، وأن المشروع للداعية إلى الله أن يتصف باللين، والرفق والحلم، والصبر، لأن ذلك أكمل في نفع دعوته والتأثر به)[(٢)].

وكذلك الشيخ محمد بن صالح العثيمين [(٣)] حيث قال: (ولهذا يجب أن لا نجعل المقياس في الشدة واللين هو ما تمليه علينا أهواؤنا وأذواقنا، بل يجب أن نجعل المقياس هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه، والنبي ﷺ رسم لنا هذا بقوله، وبفعله، وبحاله ﷺ رسمه لنا رسماً بيناً، فإذا دار الأمر بين أن اشتد أو اتيسر بمعنى أنني كنت في موقف حرج لا أدري الفائدة في الشدة أم الفائدة في التيسير والتسهيل فأيهما أسلك؟

أسلك طريق التيسير لأن النبي ﷺ قال: "**إن الدين يسر**"[(٤)] ولما بعث معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال: "**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا**"[(٥)].

---

(١) هو عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن آل باز ولد عام ١٣٣٠هـ أخذ العلم عن مشاهير علماء نجد، تولى عدداً من المناصب منها مفتي المملكة العربية السعودية، توفي عام ١٤٢٠هـ. (انظر: إمام العصر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للدكتور ناصر الزهراني. لم يذكر اسم الناشر ـ الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ج٣ ص٢٠٧ جمع د/ محمد بن سعد الشويعر. طبع دار المؤيد ـ الأولى ـ ١٤٢١هـ.

(٣) محمد بن صالح بن عثيمين الوهيبي التميمي. ولد عام ١٣٤٧هـ، كان عضواً في هيئة كبار العلماء. توفي سنة ١٤٢١هـ (انظر ابن عثيمين الإمام الزاهد. للدكتور ناصر الزهراني. طبع دار ابن الجوزي ـ الأولى ـ ١٤٢٢هـ).

(٤) تقدم تخريجه ص ٨.

(٥) تقدم تخريجه ص ٢٥.

ومن أراد أن يفهم هذا الأمر فليجرب، لأنك إذا قابلت المدعو بالشدة اشمأز ونفر وقابلك بشدة مثلها، وإن كان طالب علم ذهب يجادلك حتى بالباطل الذي تراه مثل الشمس وهو يراه مثل الشمس ولكنه يأبى إلا أن ينتصر لنفسه، لأنه لم يجد منك رفقاً ولياناً...)[1].

(١) الاعتدال في الدعوة لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان ص١٣ طبع دار الثريا ـ الأولى ـ ١٤١٥هـ.

ثانياً: انقلاب عداوة الناس (للدعوة والداعية) إلى صداقة وكرههم إلى محبة:

قد تشوه صورة الدعوة والداعية من قبل أعداء الدعوة، فيتسامع الناس بذلك فيأخذوا موقفاً منها [١] وعند احتكاك هؤلاء بالداعية ورؤيتهم للتعامل الحسن الذي يحث عليه الإسلام تتغير الصورة، وتنقلب العداوة إلى صداقة، والكره إلى محبة.

كما في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي [٢] رضي الله عنه حيث جاء في السيرة النبوية: (أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجالٌ من قريش، وكان الطفيل رجلاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه ولا تسمعّن منه شيئاً.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوتُ في أذني حين غدوتُ إلى المسجد كرسفاً [٣] فرقاً من أن يبلغني شيءٌ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله. قال: فسمعتُ كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي واثكْل أمي، والله إني لرجل

---

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، لمهدي رزق الله ص١٦٨.

(٢) الطفيل بن عمرو الدوسي صاحب النبي ز سمي ذا النور لأنه لما أسلم طلب من رسول الله ز أن يبعثه إلى قومه ويجعل له آية فقال النبي ز اللهم نور له" استشهد يوم اليمامة (انظر: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٤٤.

(٣) (كرسفاً): الكرسف: القطن (انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (كرسف) ج ٥ ص ٣٩٢.

لبيب شاعرٌ ما يخفى عليّ الحسنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركتُه.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعتهُ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه، فقلت: يا محمد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما بَرحوا يُخَوّفونني أمرك حتى سددتُ أذني بكرسُف لئلا أسمع قولك، ثمَّ أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرَك.

قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق، وقلت يا نبي الله. إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعهيم إلى الإسلام)[(١)].

ثم إن دوساً تأخروا عليه في قبول الإسلام فجاء إلى النبي ﷺ يشكوهم.فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: (إن دوساً قد هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم فقال: "**اللهم أهد دوساً وأئتِ بهم**")[(٢)].

وكما مر في قصة ثمامة بن أثال رضي الله عنه، الذي قال بعد رؤيته للمعاملة الحسنة من النبي ﷺ معه: (يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٢ طبع دار إحياء التراث العربي، الثالثة ــ ١٣٩١هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ج٥ ص١٢٣ واللفظ له؛ وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء حديث رقم (١٩٧) ــ (٢٥٢٤) ج٢ ص١٩٥٧.

بلدك فأصبح بلدك من أحب البلاد إليَّ)[١].

وكما جاء في قصة صفوان بن أميه رضي الله عنه الذي كان من ألد أعداء الدعوة حيث قال بعد أن أكرمه الرسول ﷺ بالعطاء: (والله! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنّه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنَّه لأحبُّ الناس إليَّ)[٢].

(١) تقدم تخريجه ص ٣٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٨.

ثالثاً: انضمام المدعوين إلى سلك الدعوة:

إن تأثر المدعوين بالداعية نتيجة تعامله الحسن معهم، يكسب الدعوة أعضاء جدد ينضمون إلى سلك الدعوة، لا سيما إن كان هؤلاء الأشخاص من المؤثرين.

وكتب التاريخ والسير تحفل بالعديد من القصص، من ذلك أنه لما بدأ رسول الله ﷺ دعوته بدأ ينضم إليه الناس شيئاً فشيئاً، وتأخر عليه آخرون لا سيما كبراء قريش وسادتها، منهم من مات على كفره في المواجهات التي حصلت بين المسلمين وكفار قريش في بدر وأحد، ومنهم من بقي معادياً للنبي ﷺ حتى يوم الفتح، من هؤلاء أبوسفيان بن الحارث الذي بقي على كفره وعدائه الشديد للإسلام وأهله حتى ذلك الحين، ولما جهّز الرسول ﷺ الجيش الإسلامي لفتح مكة حتى اقتربوا منها، حيث عسكروا قريباً منها، وكان كفار قريش يتوقعون أمراً فأرسلوا أبا سفيان وآخرين ليتحسسوا الأخبار، فالتقى بهم العباس بن عبدالمطلب [1] ــ وكان قد أسلم ــ راكباً بغلة النبي ﷺ، وكان يريد أن يرسل إلى قريش رسولاً يطلب منهم أن يخرجوا لمصالحة الرسول ﷺ قبل أن يدخل مكة، فأخبرهم العباس بأن جيش المسلمين قريب منهم، وأقنع أبا سفيان بأن يذهب معه إلى النبي ﷺ، فذهب معه. وعندما أدخل العباس أباسفيان على الرسول ﷺ أخذ يدعوه إلى الإسلام شطراً كبيراً من تلك الليلة، فالآن القول وتردد، وفي الغد قبل أبوسفيان الإسلام

(١) انظر: السيرة النبوية وبن هشام ج٤ ص٤٦؛ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ــ للدكتور مهدي رزق الله ص٥٦٤.

بعد تردد، ثم طلب العباس [١] رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أن يجعل لأبي سفيان شيئاً لأنه يحب الفخر فوافق [٢] وقال: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)[٣].

فتعامل النبي ﷺ مع أبي سفيان بما يليق به كقائد لقومه إذ جعل اللجوء إلى داره بمثابة الأمان للداخل، كما أنه ﷺ لم يتأثر بمواقف العداء السابقة من أبي سفيان، فدعاه وكرر دعاءه وأحسن إليه، ومنع الصحابة من قتله [٤] فكانت الثمرة إسلامه رضي الله عنه وثباته على الإسلام حتى وفاته، فانقذه الله برسول الله ﷺ من الضلالة إلى الهدى وهذا هو المكسب الرئيس كما جاء في حديث النبي ﷺ لَمَّا أعطى أناساً يتألفهم للدين بسبب ضعف إيمانهم لحداثة عهدهم بالإسلام: "**إني لأعي الرجل وغيره أحبَّ إليَّ منه، خشية أن يكبَّ في النار على وجهه**"[٥].

ثم إنّ أباسفيان رضي الله عنه أبلى بلاءً حسناً في الإسلام، من ذلك أنه في

---

(١) العباس بن عبدالمطلب عم النبي ز، قيل أنه أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، توفي سنة ٣٢هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٨).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٤٦؛ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور فهد بن رزق الله ص٥٦٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٤٦؛ وقال في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، رواه ابن إسحاق بإسناد حسن؛ وعند ابن حجر في المطالب العالية من رواية اسحاق بن راهوية. وقال عنه ابن حجر (هذا حديث صحيح). انظر: (السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهي رزق الله ص٥٦٤).

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٤٥؛ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص٥٦٣.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه حديث رقم (١٣١) ــ (١٥٠) ج١ ص٧٣٣.

غزوة حنين وكانت بعد فتح مكة بنصف شهر [١] حيث تفرق الناس وأدبروا حتى لم يثبت مع الرسول ﷺ أحد سوى أبي سفيان بن الحارث وجماعة قليلة [٢].

وجاء في تاريخ الطبري: (.. وقد التفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثَفرَ [٣] بغلته..)[٤].

وقد قلعت عيناه رضي الله عنه في سبيل الله، حيث قلعت الأولى يوم حنين، والأخرى يوم اليرموك [٥].

وشارك رضي الله عنه مع المجاهدين في فتوح الشام، وكان يعظ المسلمين ويحثهم على القتال [٦].

ولما تراءى الجمعان يوم اليرموك قال أبوسفيان: (... يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله ﷺ والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم)[٧].

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للإمام أبوجعفر محمد بن جرير الطبري ج٢ ص١٦٥. طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة، ١٤١١هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق ج٢ ص١٦٨؛ البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص١٠٥؛ فتح الباري ج٧ ص٦٢٤ حديث رقم (٤٣١٤)؛ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د. مهدي رزق الله ص ٥٨٧.

(٣) (ثفر): ثَفَرُ الدابة السَّيْرُ الذي في مؤخر السرج. (انظر: لسان العرب لابن منظور الأفريقي مادة (ثفر) ج١ ص٣٣٧، طبع دار صادر بيروت ــ الأولى ــ ١٩٩٧م.

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص١٦٨.

(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٢ ص ١٧٨؛ سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٠٥.

(٦) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٨.

(٧) المرجع السابق ج٧ ص٩.

وجاء في البداية والنهاية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبوسفيان تحت راية ابنه يزيد[١])[٢].

وجاء أيضاً: (وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالاً شديداً، وذلك أن أباه مر به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفاً بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوّا أمور المسلمين؟! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك)[٣].

ومن هؤلاء عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه الذي استمر في عدائه حتى يوم الفتح فقد قاتل المسلمين مع صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو حيث قد جمعوا ناساً ليقاتلوا المسلمين يوم الفتح [٤].

ثم لما هزموا فرَّ مع جماعة معه، ففر هو إلى اليمن، وكان ممن أهدر دمه النبي ﷺ، ثم إن زوجته أسلمت فأستأمنت له رسول الله ﷺ فأمَّنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم [٥]، وحسن إسلامه بعد ذلك، بل إنه أصبح من القواد العظام في تاريخ الفتح الإسلامي حيث شارك رضي الله عنه في

---

(١) يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي أخو معاوية من الأب، يقال له زيد الخيرة، أخو أم المؤمنين أم هيبة توفي في الطاعون سنة ١٨هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٢٨).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص١٤.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص١٤.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٤٩.

(٥) انظر: المرجع السابق ج٤ ص٥٣.

قتال أهل الردة، ثم كان من قادة المجاهدين في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل إنه بايع على الموت في معركة اليرموك ثم استشهد [١].

وقد جاء في البداية والنهاية: (قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟! ثم نادى: من يبايع على الموت؟

فبايعه عمه الحارث بن هشام [٢]، وضرار بن الأزور [٣] في أربعمائه من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً)[٤].

وسهيل بن عمرو رضي الله عنه الذي كان خطيباً لقريش والذي استأذن فيه عمر رضي الله عنه النبي ﷺ في نزع ثنيتيه حتى لا يقوم على المسلمين خطيباً [٥] وهو الذي تولى أمر الصلح عن المشركين في صلح الحديبية [٦].

وكان ممن بقي إلى يوم الفتح مقاوماً للمسلمين مع عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية ــ ثم إنه أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه وقد قام خطيباً بالناس يوم مات النبي ﷺ فقال: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص٤٩٦؛ سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٢٤.

(٢) الحارث بن هشام أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤١٩).

(٣) ضرار بن الأزور الأسدي أحد الأبطال، له صحبة، وحديث واحد، له مواقف مشهودة (انظر: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣١٥).

(٤) انظر المرجع السابق ج٧ ص ١٤.

(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص٩٣؛ سير أعلام النبلاء ج١ ص١٩٤.

(٦) انظر صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية حديث رقم (٩٣) ــ (١٧٨٤) ج٢ ص١٤١١.

الله فإن الله حي لا يموت).ثم إنه خرج إلى الشام مجاهداً [١].

وكذلك صفوان بن أمية رضي الله عنه الذي قاوم المسلمين يوم الفتح فلما هزموا فر إلى جدّه يريد اليمن فأخذ أحد أصحابه له أماناً من رسول الله ﷺ فأمَّنه رسول الله ﷺ فلحقه صاحبه فبلَّغه أمان النبي ﷺ فجاء إلى النبي ﷺ فأسلم[٢] وحسن إسلامه وروى أحاديث عن النبي ﷺ ، وقد شهد اليرموك أميراً على كردوس[٣] [٤].

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص٩٣؛ سير أعلام النبلاء ج١ ص١٩٤.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٦٠.

(٣) (كردوس): الخيل العظيمة ــ القراديس كتائب الخيل (انظر: لسان العرب. مادة (كردس) ج٥ ص٣٨٩).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء. ج٥ ص٣٢٦.

رابعاً: انتشار الدعوة بين الناس:

لقد حرص النبي ﷺ على أن تبلغ سيرته الحسنة في تعامله مع الناس فتكون عاملاً مؤثراً في إسلامهم، وكان ﷺ يصبر على ما يصيبه من أذى الكفار والمنافقين ولا ينتقم منهم كي لا يتحدث الناس أن محمداً يسيء إلى أصحابه من ذلك ما جاء في الصحيحين عن جابر بن عبدالله ــ رضي الله عنهما ــ قال: (كنا مع النبي ﷺ في غزاة فكسع [١] رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!

فقال رسول الله ﷺ ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يارسول الله كسع رجُلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: دعوها فإنها منتنة. فسمعها عبدالله بن أبيٌّ[٢] فقال: قد فعلوها. والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجَنَّ الأعَزُّ منها الأذل.

قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: دعه. لا يتحدث الناسُ أن محمداً يقتُلُ أصحابه)[٣].

قال النووي: (وفيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد

---

(١) (كسع): أي ضرب دبره وعجيزته بيد أو رجل أو سيف أو غيره. (انظر: شرح النووي صحيح مسلم ج٨ ص٣٨٣).

(٢) عبدالله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث، هو رأس النفاق وأكبرهم مات سنة تسع من الهجرة. (انظر: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٢١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً حديث رقم (٦٣) ــ (٢٥٨٤) ج٣ ص١٩٩٨ واللفظ له، وأخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما ينهى عنه من أمور الجاهلية ج٤ ص١٦٠.

خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه...)[١].

فامتنع النبي ﷺ من قتل أو عقاب عبدالله بن أُبي كي لا يقول الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه، فيسبب ذلك نفور الناس من الدخول في الإسلام.

وقد كان ﷺ إذا أمَّر أميراً، على جيش أو سرية دعاه وأوصاه بآداب الإسلام في الغزو ومما يدل دلالة واضحة على أن هذا النبي ﷺ إنما بعث رحمة. ففي صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا[٢]، ولا تغدروا [٣]، ولا تمثلوا [٤] ، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكفّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...)[٥].

دل على هذا الحديث على أن الجهاد عند المسلمين ليس للسيطرة، والغلبة، والطغيان على الأمم الأخرى، وإنما هو لنشر الإسلام، وتخليص الناس من جور الأديان واستعباد البشر لهم، وهذا ما ظهر من وصايا الرسول ﷺ لأصحابه

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ج٨ ص٣٨٣.

(٢) (ولا تغلوا): الغُلول: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة. وكلٌّ من خان في شيء خُفية فقد غل. (انظر: لسان العرب مادة (غَلَّ) ج٥ ص٥٤.

(٣) (ولا تغدروا): الغدر ضد الوفاء بالعهد تقول: غَدَر إذا نقض العهد. (انظر: لسان العرب مادة (غدر)) ج٥ ص١٢.

(٤) (ولا تمثلوا): مثلت بالقتيل إذا جَدَعت أنفه وأذنه أو شيئاً من أطرافه. (انظر لسان العرب مادة (مثل) ج٦ ص١٦).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، حديث رقم (٢) ــ (١٧٣١) ج٢ ص١٣٥٧.

وكذلك أصحابه من بعده، كما ظهر جلياً من خلال سلوك الجيوش الإسلامية أثناء الفتوحات.

وقد ذكرت كتب التاريخ صوراً لذلك منها ما جاء في البداية والنهاية في فتوح العراق ففي معركة القادسية ولما رأى الفرس تقدم المسلمين في بلادهم استعدوا لملاقاتهم وطلب القائد الفارسي رسولاً من المسلمين يحاوره فأرسل له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [1] المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فلما قدم عليهم جعل رستم يقول له: (إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا، فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم. وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به إلا عز فقال له رستم: فما هو؟ فقال أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال: ما أحسن هذا؟!

وأي شيء أيضاً. قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضاً. وأي شيء أيضاً؟

قال: والناس بنو آدم فهم أخوة لأب وأم، قال: وحسن أيضاً، ثم قال رستم. أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: أي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة، قال: وحسن أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر

(١) سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبدالمناف توفي عام ٥٦هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ج١ ص ٩٢).

رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه)[١].

ثم إن رستم طلب رسولاً آخر فأرسل سعد بن أبي وقاص ربعي بن عامر رضي الله عنه فلما جاءهم قالوا له: (ما جاء بكم؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي...)[٢].

ومن الدلائل على حسن معاملة المجاهدين الفاتحين لأهالي البلاد المفتوحة ما جاء في كتاب الخراج عندما صالح المسلمون أهل الشام حيث جاء فيه: (ولّما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة منهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على أعدائهم، فبعث أهل كل مدينة ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالاً من قبلهم يتجسسون الأخبار عن الروم، وعن ملكهم وما يريدون أن يصنعوا، فأتى أهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعاً لم ير مثله. فأتى رؤساء كل مدينة إلى الأمير الذي خلفه أبوعبيدة [٣] عليهم فأخبروه بذلك. فكتب والي كل مدينة ممن خلفه أبوعبيدة إلى أبي عبيدة يخبره بذلك.

وتتابعت الأخبار على أبي عبيدة، فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين، فكتب أبوعبيدة إلى كل وال ممن خلَّفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٤٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٤٠.

(٣) أبوعبيدة عامر بن عبدالله الجراح، أمين الأمة، وأحد العشرة مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ (انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ج ٢ ص ٢٦٧ ـ اعتناء إبراهيم الزيبق ـ وعادل المشد طبع مؤسسة الاسامة ـ بيروت ـ الأولى ـ ١٤٢١هـ.

جبى منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم وأنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم، فلما قالوا ذلك لهم، وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً، وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئاً...)[١].

ومما يدل على عدالة المسلمين وحسن تعاملهم ما جاء في فتوح البلدان: (أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عند مقدمه الجابية من أرض دمشق، مر بقوم مُجَذَّمين من النصارى، فأمر أن يُعطوا من الصدقات، وأن يجري عليهم القوت)[٢].

ولقد كان من أسباب انتشار الإسلام المعاملة الحسنة التي يتميز بها المسلمون الذي تربوا على نهج القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ حيث وصل الإسلام لأصقاع كبيرة من العالم نتيجة المعاملة الحسنة عن طريق التجار المسلمين، الذين كانوا دعاة حيث جاء في التاريخ الإسلامي (كان التجار هم الدعاة وما كانت التجارة لديهم إلا وسيلة للسفر والاتصال بالناس كي يدعوهم إلى عبادة الله)[٣].

---

(١) الخراج للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ص١٥٠ طبع المطبعة السلفية ــ الخامسة ــ ١٣٩٦هـ.

(٢) فتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري، ص١٥٣، طبع مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

(٣) التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر، الأقليات الإسلامية) لمحمود شاكر ج٢٢ ص١٤٧، طبع المكتب الإسلامي ــ الأولى ــ ١٤٠٨هـ.

حيث وصل الإسلام إلى بعض الدول فأسلمت بكاملها بسبب المعاملة الحسنة التي وجدوها من التجار المسلمين [١].

وقال في التاريخ الإسلامي متحدثاً عن انتشار الإسلام في جنوب شرقي آسيا (ماليزيا وأندونيسيا): (فإن جنوب شرقي آسيا هي المنطقة الأنموذجية التي انتشر فيها الإسلام حتى عمّ، ولم تنطلق إليها سرية، ولم ترتفع نحوها راية للجهاد، ولم تسر إليها كتيبة، ولم يتقدم إليها جيش فتح، وإنما انتشر الإسلام عن طريق التجارة، أو في الحقيقة عن طريق حسن المعاملة، ومكارم الأخلاق، واحترام المبادئ، وتقدير القيم، وأدب التصرف، لقد أعجب السكان بهذه القيم فتمثلوها، وبهرتهم الأفكار فقبلوها، فوجدوا أنفسهم مسلمين...)[٢].

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه عن معاملة المسلمين الحسنة لأهل البلاد المفتوحة: (ولعل من أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى إن الملك الفارس كيرس نفسه قال: (إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين) فما يوعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة)[٣].

---

(١) من الدول التي وصلها الإسلام عن طريق التجار (١٠٠% الصومال، ٧٠% على الساحل الكيني، ١٠٠% زنجبار وجزر القُمَرْ، و٥٠% موزمبيق، وعمَّ الإسلام أندونيسيا وماليزيا وجنوبي الفلبين، ووصل سيرلانكا، وبورما، وفطاني ومالاوي. (انظر التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر، الأقليات الإسلامية) محمود شاكر ج٢٢ ص(١٤، ١٥، ٤٨، ٥٣، ٥٧، ١٤٧، ٢٥٧).

(٢) التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر ــ القارة الهندية، جنوب شرقي آسيا (ماليزيا وأندونيسيا)، ج١٩ــ ٢٠ ص٢٨٩.

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة زيغريد هونكة ص٣٥٧. طبع دار الجيل ــ دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ــ الطبعة الثامنة ١٤١٣هـ.

وقالت أيضاً: (واستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد، فكسب بذلك لدينه عدداً وفيراً لم تكن أية دعاوة مهما بلغ شأوها لتستطيع أن تكسب مثله)[١].

وقال المستشرق غوستاف لوبون: (فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم وما جهله المؤرخون من رحمة العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحهم، وفي سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت...)[٢].

وجاء في كتاب الدعوة إلى الإسلام عن أسباب تحول المسلمين إلى الإسلام في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي (وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق)[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص٣٦٦.

(٢) حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ص ٦٠٥ نقله إلى الوبية عادل زعيتر. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٣) الدعوة إلى الإسلام. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ص ٨٨ لـ سير توماس، وآرنولد. ترجمة إلي الوبية وعلق عليه د. حسن إبراهيم حسن ـ ود. عبدالمجيد عابدين ـ وإسماعيل النحراوي طبع مكتبة النهضة المصرية القاهرة ـ ١٩٧٠م.

الخاتمـــــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين:

بعد هذه الجولة السريعة عن المعاملة الحسنة في الدعوة إلى الله في ضوء نصوص القرآن الكريم، وسنة المصطفى ﷺ وأثرها في الدعوة إلى الله اتضح أن رسالة الإسلام جاءت لجميع الخلق من المكلفين، أرسل الله رسوله ﷺ رحمة بالخلق كلهم، ومن مقتضيات هذه الرحمة أن يقدم هذا الدين بطريقة تؤثر في تقبل الناس كلهم على اختلاف أصنافهم واختلاف مشارعهم ومعتقداتهم، ومنازلهم، ولاشك أن أفضل الطرق وأجداها نفعاً هي الطريقة التي رسمها القرآن الكريم وحدد معالمها وقد ظهرت من خلال هذا البحث هذه النتائج:

- دلت النصوص القرآن الكريم على المنهج الذي اختاره الله عز وجل لنبيه ﷺ وللدعاة من بعده، بدعوة الناس بالحسنى.
- أن للدعوة بالمعاملة الحسنة أثر كبير في تقبل الناس لهذا الدين وقربهم من الداعية.
- لقد كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما جاء في القرآن الكريم مطبقاً له، حيث كان يعامل أصحابه معاملة حسنة، أدت إلى التفافهم حوله، واستجابتهم له.
- أن رسول الله ﷺ كان يعامل أعدائه كما أوصاه ربه ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] حيث عامل الكفار معاملة حسنة بتأليفهم للإسلام، وأثمر ذلك مع أراد الله له الخير والهداية.

---

(١) سورة فصلت آية: ٣٤.

- من ثمرات المعاملة الحسنة قرب المدعوين للداعية وتأثرهم به.
- للمعاملة الحسنة أثر في انقلاب عداوة الناس – للدعوة والداعية – إلى صداقة ذكرهم إلى محبة.
- تكتسب الدعوة أعضاء جدد يحملون هم الدعوة ممن تأثروا بالمعاملة الحسنة من الداعية.
- أن للمعاملة الحسنة أثر في دخول الناس لهذا الدين حيث يرون في الداعية نموذج يمتثل أدب الإسلام في التعامل يجعلهم يقبلون على هذا الدين.

التوصيات:

- الرجوع إلى المصدرين الكتاب والسنة في التأصيل حيث يربط الدعاة بصفة خاصة، والناس بصفة عامة بهما.
- أن صلاح الأمة في أول عصورها وانتشار الدعوة ونجاحها كان بسبب ارتباطهما بالمصدرين الكتاب والسنة، والتطبيق الفعلي لهما في حياة الدعاة وصلاح الأمة في العصور المتأخرة مرتبط بالسير على نفس المنهج.
- أن الله تعالى أرسل رسوله ﷺ وقد وضح له الطريقة التي يسير عليها، وجعلها طريقة ومنهجا لمن يسير على نفس منهجه، فلن يكون فلاح مدعاة إلا بالالتزام بها.

واسأل الله أن يجعلنا من يهتدون بهدي القرآن والسنة وأن يجعلنا هداة مهتدين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.